الكتاب الخامس

العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى

تأليف جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده

تحليل وعرض أ.د. سليمان الخطيب

العروة الوثقى «هي الصحيفة الأسبوعيّة التي أصدرها الأفغاني في باريس سنة ١٨٨٤م ليزلزل بها عرش الاستعمار ويستنهض الشرق، وقد أُوذي الأفغاني وشُرِّد واستشهد في سبيل أعز ما يمكن للجنس البشريّ أن يفخر به من حرية وعدل الإسلام.

ودون الدخول في الحديث عن الدور الذي قام به الأفغاني ومن بعده تلميذه والسائر على دربه «الشيخ محمد عبده»، يجدر بنا الدخول مباشرة في محتوى الكتاب.

ويستهل الناشر كتاب «الأفغاني» بالحديث عن مؤامرات الاستعمار الغربي تجاه المسلمين من خلال اقتباسه لبعض الفقرات حول هذه القضيّة من كتاب «الإسلام على مفترق الطرق» للمستشرق «ليو بولد فابس» الذي أشهر إسلامه وعُرف «بمحمد أسد»، حيث يَخْلُص إلى أنَّ الحكومات النصرانيّة نفسها هي التي تقيم العقبات من كل وجه، حيال كل سعي إلى الإصلاح والنهضة في بلاد الإسلام.

وقد جاء في هذا الكتاب «أنَّ الاصطدام العنيف الأوّل بين أوربا المتحدة من جانب، وبين الإسلام من الجانب الآخر، أي الحروب الصليبيّة، يتفق مع بزوغ فجر المدينة الأوربية، ومن هنا تكوّنت العقدة الكبرى في روح تلك المدنية» .

«وقد ولدت أثناء الحروب الصليبية فكرة المدنية الغربية، وأصبحت هدفًا واحدًا تسعى إليه جميع الشعوب الأوربيّة على السواء، وكانت تلك المدنيّة الغربية عداوة للإسلام» .

ولقد رسم الغرب مناهجه الاستعمارية على أسس علميّة دقيقة، أسس تجردت من الأخلاق تجردها من الشرف، وبعدت عن الإنسانية بعدها عن كل نبيل رفيع في الحياة.

أسس استهدفت غايتين:

الأولى: تحطيم قوى الشرق المعنويّة والماديّة والروحيّة، تحطيمًا يحيل هذه الأمم إلى قطيع بدائي، مسلوب الرأي، مزلزل العقيدة، مهدر الحقوق. فالقوميّة تعصب أحمق؟ والوطنية، تطرف ضار؟ والكرامة، زهو وحشي؟ والشعور الفطري، كراهية الأجانب؟

والثانية: أن تتحول بلاد الشرق إلى إقطاعيات زراعيّة، ومناجم للمواد الأوليّة، لتمد الغرب بحاجياته، ليقوى ويغتر، وتزداد قبضته تحكمًا وقسوة.

ورسمت برامج التعليم، ووضعت مناهج الاقتصاد، ودارت عجلة الحياة بكامل ألوانها لتؤدي إلى الهدف المنشود.

ومحور هذا الكتاب «العروة الوثقى» إنَّما يدور حول نضال العرب والإسلام التاريخي لهذه الروح الاستعمارية الباغية.

ولقد أُبتلي العرب، وأُبتلي المسلمون بهذه الروح بلاءً تاريخيًا، فبلادهم هي مفاتيح الشرق بأسره، هي البرزخ الذي تعبر منه أوربا، إلى أعماق القارتين الملونتين، القارتين اللتين يسيل لعاب الاستعمار حول كنوزهما وموادهما.

ولهذا كان الثقل الأوربي الاستعماري على تلك المنطقة أعظم ثقل استعماري في التاريخ، ومن ثم شهدت تلك المنطقة أروع ضروب النضال والجهاد في سبيل الحرية والحياة.

فصراعنا الملتهب مع الاستعمار، هو صراع في سبيل المثل العليا كافّة، في سبيل الفضائل والأخلاق التي بعث الأنبياء من أجلها، ودعا إليها الأحرار، وقامت

عظمة بني الإنسان على إحساسه بها، وتناديه إليها، وجهاده في سبيلها.

وقد حفظت لنا مقالات «العروة الوثقى» جهاد هذين الإمامين الثائرين.

ويتحدث ناشر الكتاب عن تجربة «محمد علي» حول إقامة دولة مصرية على غرار الدول الأوربيّة، ولكنّه فشل في رأي الإصلاحيين حين قَيَّموا تجربته نحو التحديث.

أمّا حول الشيخ «محمد عبده» فهو مصلح جرئ، حاول الهدم والبناء في أقدس هيكل عند البشر، فيما يعتبره النّاس دينًا.

أرسل صيحته في الأزهر تدوّي بين شيوخ، إن لم يكونوا يومئذ هيئة كبار علماء، فلعلهم لم يكونوا دون هؤلاء جمودًا.

ولم يبال الأستاذ ما لقي من الأذى، وقد لقي من الأذى كثيرًا.

وتتلخص دعوة الشيخ إلى الإصلاح الديني في أمور ثلاثة:

أولًا: تحرير الفكر من قيد التقليد حتّى لا يخضع العقل لسلطان غير سلطان البرهان.

ثانيًا: اعتبار الدين صديقًا للعلم ولا موضع لتصادمهما، وهما حاجتان من مستلزمات البشر لا تغني إحداهما عن الأخرى.

ثالثًا: فهم الدين على طريقة السلف الصالح، قبل ظهور الخلاف.

ولا يَسَع المؤرخ حين يترجم للشيخ أن يغفل الإشارة إلى ما بلغه الرجل في حياته من عز وجاه وحرمة موفورة، كان للشيخ خصوم يكرهونه ويكيدون له، ويضعون له العقبات في سبيل إصلاحه، ولكن أحدًا لم يكن يستطيع أن يغض من جلال الشيخ أو ينكر عليه منزلته الرفيعة في النفوس.

وفي حديث الشيخ عن «الأفغاني» يقول: وبينما النّاس على هذا، لا كاتب

ينبههم، ولا خطيب يعظهم إذ عرض أمر قلَّما يلتفت إليه، وإن كان ممّا رجت به السنة الإلهيّة في كل زمان.

جاء إلى هذه الديار في سنة ١٢٨٦هـ رجل غريب بصير في الدين، عارف بأحوال الأمم، واسع الاطلاع جم المعارف، جرئ القلب، وهو المعروف بالسيد جمال الدين الأفغاني.

وكان له بالغ الأثر في اشتعال الحركة الوطنية بمصر سنة ١٨٨٢م، ونشوب ثورة عرابي باشا وضرب الإسكندرية بالقنابل.

وكان «جمال الدين» عالمًا فيلسوفًا كاتبًا ذا اتصال ثقافي بالتيارات الفكرية العالمية، فكان يبدو دائمًا صاحبًا لعقليّة عصرية متقبلًا لجميع مناحي الفكر في زمنه إلى أوسع ما يكون.

وكان الأفغاني أوّل من أدرك ما تنطوي عليه سياسة التوسّع الغربيّ من تهديد لاستقلال دول الإسلام، فحاول تعبئة الجماهير روحيًّا، وأكثر من مراجعة ملوك الإسلام وأمرائهم.

وقد كان للأفغاني قبل قدومه إلى مصر أثرًا ضخمًا في المشرق الإسلامي، فقد جاءه مُجددًا لرسالات الشرق الكبرى، وأمجاده العريقة، ومدنيته التليدة.

ويقول عنه الدكتور «عثمان أمين» في كتابه عن الأفغاني: استطاع الرجل بخطبه الملتهبة أن ينفث في النفوس نزوعًا إلى الحريّة، ورغبة في العدالة، وكان لكلامه أثر عميق، وتنبيه المحكومين إلى حقوقهم قبل الحاكمين، فاتجه الناس إلى نقد أصحاب السلطان، وأخذت تتضاءل عقيدة سيادة الحاكم وحقه المطلق في التصرف في شئون الرعيّة.

ومن أهم ما شغل عقل ونفس «الأفغاني» مشروعه للجامعة الإسلامية التي

ترمي إلى اتحاد جميع الشعوب التي تعيش في كنف الإسلام، لكي يتيسر لها التخلص من سيطرة الأجنبي، ويجب على العالم الإسلامي أن يتحد في حلف دفاعي كبير ليستطيع بذلك أن يصون نفسه من الفناء، وللوصول إلى هذه الغاية، إنَّما يجب عليه أن يأخذ بأسباب التقدم في الغرب وأن يكتنه أسرار تفوقه وقدرته.

وكان «الأفغاني» حربًا مشتعلة لا تهدأ على الاستعمار الأوربي بشتى صوره وألوانه، وكان يعتبر الاستعمار البريطاني رأس الأفعى، وخصم الإسلام وقد نادى بقلمه ولسانه بأنَّ كل إصلاح إلى زوال ما لم ينبعث من أعماق الجماهير، وكان يقول: «ولن تنبعث شرارة الإصلاح في وسط هذا الظلام الحالك إلاَّ إذا تعلم الشعب وعرف حقوقه، ودافع عنها، ومتى عرف الشعب هذه الحقوق وجد نفسه مضطرًا إلى المطالبة بها والمحافظة عليها إذا نالها».

أهداف العروة الوثقى:

أسس «الأفغاني» مع «محمد عبده» في باريس جمعية العروة الوثقى، وهي جمعيّة إسلامية عالمية هدفها إعادة عز الإسلام ومجده، والعمل على تطهير عقائده مما شابها، وتحرير العالم الإسلامي من ذل الاستعمار وعبوديته.

وكانت جميع الأفكار في الجريدة التي صدرت باسم «العروة الوثقى» لجمال الدين، أمَّا الأسلوب والعبارة فكانا للإمام محمد عبده.

وأهمّ أهداف الجمعية التي تمّ حصرها في العدد الأوّل منها:

١- تضع الجمعية نفسها في خدمة الشرقيين عامة، فتبين لهم الواجبات التي يجب عليها القيام بها، والتي كان التفريط فيها سببًا في تدهورهم وتوضح الطرق التي يجب إتباعها لتدارك الأخطاء الماضية وتجنب الصعاب والأخطار في المستقبل.

٢- البحث عن الأسباب والعلل التي أدت إلى ضعفهم وفي طليعتها تفريطهم في تعاليم دينهم.

٣- كشف الغطاء عن الشُّبه التي شغلت أوهام المترفين.

٤- إحياء الأمل في النفوس، وبيان أن طريق النهوض ليست بالصعوبة المتوهمة التي توجب فتور الهمة أو خور العزيمة.

٥- الرد على التُّهم التي توجه للشرقيين عامة والمسلمين بصفة خاصة، وتفنيد مقولات الغربيين حول الإسلام.

٦- ستحاول الجريدة إطلاع الشرقيين على الأحداث العالمية وأسرارها ليحيطوا علمًا بما يدبره السياسيون الأوربيون، وما يبيتونه لهم، ولكي يعلموا في أي عالم يعيشون حتى لا يقعوا في شراك الدعاية المغرضة.

٧- ستعمل الجريدة على تقوية الصلات بين الأمم الإسلامية، وبيان المنافع المشتركة بينها، وعلى مناصرة كل سياسة خارجية من شأنها ألاَّ توقع حيفًا بالشرقيين.

وقامت العروة الوثقى برسالتها، فكانت منارة للشرقيين عامة، ونبراسًا لكل مجاهد حر، يناضل في سبيل الحرية والحياة، وأعلنت إنجلترا الحرب على العروة الوثقى، بعد أن أدركت الخطر الكامن وراء سطور تلك الجريدة.

وعجزت بريطانيا عن مواجهة ثورة الأفغاني، وهجومه الرهيب على الاستعمار والمستعمرين، فعرضت عليه عرش السودان، فرد عليهم بقوله: «إنَّ السودان ليس ملكًا لبريطانيا حتّى تتصرف في عرشه» .

وقضت عليها بريطانيا بعد صدورها ولم تتم عامها الأول، حيث استطاعت خلال الثمانية أشهر التي صدرت فيها أن تغير نظرة الحياة في الشعوب الشرقية كافة، وأن تطلق شعاعًا من أشعة الحرية ظل يتَّقد ويتعاظم حتى جنينا ثمراته حرية واستقلالًا في ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، التي أطاحت بالرجعية والاستعمار في مصر

والشرق العربي بأسره.

إنَّ الحالة السيئة التي أصبحت فيها الديار المصرية لم يسهل احتمالها على نفوس المسلمين عمومًا. إنَّ مصر تعتبر عندهم من الأراضي المقدسة ولها في قلوبهم منزلة لا يحلها سواها نظرًا لموقعها من الممالك الإسلامية ولأنَّها باب الحرمين الشريفين فإن كان هذا الباب أمينًا كانت خواطر المسلمين مطمئنة على تلك البقاع وإلاّ اضطرت أفكارهم وكانوا في ريب من سلامة ركن عظيم من أركان الديانة الإسلامية، إنَّ الخطر الذي ألم بمصر نغرت له أحشاء المسلمين، وتكلمت به قلوبهم ولن تزال آلامه تستفزهم ما دام الجرح نغّارًا[1]. وما هذا بغريب على المسلمين فإنَّ رابطتهم الملِّية أقوى من روابط الجنسية واللغة ما دام القرآن يتلى بينهم وفي آياته ما لا يذهب على أفهام قارئيه فلن يستطيع الدهر أن يذلهم.

إنَّ الفجيعة بمصر حرَّكت أشجانًا كانت كامنة وجددت أحزانًا لم تكن في الحسبان وسرى الألم في أرواح المسلمين سريان الاعتقاد في مداركهم من تذكار الماضي ومراقبة الحاضر يتنفسون الصعداء ولا نأمل أن يصير التنفس زفيرًا بل نفيرًا عامًا بل يكون صاخة تمزق مسامع من أصمّه الطمع.

إنَّ الرزايا الأخيرة التي حلت بأهم مواقع الشرق جددت الروابط وقاربت بين الأقطار المتباعدة بحدودها المتصلة بجامعة الاعتقاد بين ساكنيها فأيقظ أفكار العقلاء وحولت أنظارهم لما سيكون من عاقبة أمرهم مع ملاحظة العلل التي أدت بهم إلى ما هم فيه فتقاربوا في النظر وتواصلوا في طلب الحق وعمدوا إلى مُعالجة الحق وعلل الضعف راجين أن يسترجعوا بعض ما فقدوا من القوّة، ومؤملين أن تمهد لهم الحوادث سبيلًا حسنًا يسلكونه لوقاية الدين والشرف، وأنَّ في الحاضر منها لنهزة تغتنم، وإليها بسطوا أكفهم، ولا يخالونها تفوتهم، ولئن فاتت فكم في الغيب

(١) جُرْح نَغَّار : ينزف بشدَّة كالذّبيح.

من مثلها وإلى الله عاقبة الأمور.

وفي ظل هذه التحديات يتحدث الأفغاني عن الدور الهام الذي قامت وتقوم به النخب الفكرية والسياسيّة في سبيل النهوض وتحقيق الاستقلال، وفي هذا الصدد يقول الأفغاني: تألفت عصبات خير من أولئك العقلاء لهذا المقصد الجليل في عدة أقطار خصوصًا البلاد الهندية والمصرية وطفقوا يتحسسون أسباب النجاح من كل وجه ويوحدون كلمة الحق في كل صقع لا ينُون في السعي ولا يقصرون في الجهد ولو أفضى بهم ذلك إلى أقصى ما يشفق منه حي على حياته.

ولما كانت بدايتهم تستدعي مساعدة من يضارعهم في مثل حالهم رأوا أن يعقدوا الروابط الأكيدة مع الذين يتململون من مصابهم ويحبون العدالة العامة ويحامون عنها من أهالي أوربا، وكتبوا على أنفسهم النظر في أمر السلطة العامة الإسلامية وفروض القائم بها، وبما أنَّ مكة المكرمة مبعث الدين ومناط اليقين، وفيها مواسم الحجيج العام في كل عام يجتمع إليه الشرقي والغربي ويتآخى في مواقفها الطاهرة الجليل والحقير والغني والفقير كانت أفضل مدينة تتوارد إليها أفكارهم ثم تَنْبَثّ إلى سائر الجهات والله يهدي من يشاء إلى سواء السبيل.

ولما كان نيل الغاية على وجه أبعد من الخطر وأقرب إلى الظفر يستدعي أن يكون للداعي في كل قلب سليم نفثة حق ودعوة صدق طلبوا عدة طرق لنشر أفكارهم بين من خفي عنه شأنهم من إخوانهم، واختاروا أن يكون لهم في هذه الأيام جريدة بأشرف لسان عندهم، وهو اللسان العربي، وأن تكون في مدينة حرة كمدينة باريس ليتمكنوا بواسطتها من بث آرائهم وتوصيل أصواتهم إلى الأقطار القاصية، تنبيهًا للغافل وتذكيرًا للذاهل، فرغبوا إلى السيد جمال الدين الحسيني الأفغاني أن يُنشئ تلك الجريدة بحيث تتبع مشربهم وتذهب مذهبهم فلبّى رغبتهم، بل نادى حقًا واجبًا عليه لدينه ووطنه، كلّف الشيخ محمد عبده أن يكون رئيس

تحريرها فكان ما حمل الأول على الإجابة، حمل الثاني على الامتثال، وعلى الله الاتكال في جميع الأحوال.

وعن منهج الجريدة:

سيأتي في خدمة الشرقيين على ما في الإمكان من بيان الواجبات التي كان التفريط فيها موجبًا للسقوط والضعف وتوضيح الطرق التي يجب أن يسلكوها لتدارك ما فات والاحتراس من غوائل ما هو آت.

وتكشف الغطاء ما استطاعت عن الشبه التي شغلت أوهام المترفين، ولبست عليهم مسالك الرشد، وتزيح الوساوس التي أخذت بعقول المنعمين حتى أورثتهم اليأس من مداواة علاتهم وشفاء أدوائهم وظنّوا أنَّ زمان التدارك قد فات وأنَّ العناية بلغت حدّها.

وأنَّ الظهور في مظهر القوة لدفع الكوارث إنَّما يلزم له التمسك ببعض الأصول التي كان عليها آباء الشرقيين وأسلافهم وهي ما تمسكت به أعز دولة أوروبية وأمنعها، ولا ضرورة في إيجاد المنعة إلى اجتماع الوسائط وسلوك المهالك التي جمعها وسلكها بعض الدول الغربية الأخرى ولا ملجأ للشرق في بدايته أن يقف موقف الأوروبي في نهايته بل ليس له أن يطلب ذلك، وفيما مضى أصدق شاهد على أنَّ من طلبه فقد أوقر في نفسه وقرًا أعجزها وأعوزها.

وتنبه بأنَّ التكافؤ في القوى الذاتية والمكتسبة هو الحافظ للعلاقات والروابط السياسية فإن فقد التكافؤ لم تكن الرابطة إلاَّ وسيلة القوي لابتلاع الضعيف، وتجعل إهاب الوداد المرقش بألوان الملاطفة المدبج بأشكال المجاملة شفافًا ينمُّ عمّا وراءه وتنقب عن المسالك الدقيقة التي يسري بها الطامعون في دياجر الغفلات.

ثم إنَّ المسلمين اختصوا من بين سائر أرباب الأديان بالتأثر والأسف عندما يسمعون بانفصال بقعة إسلامية عن حكم إسلامي بدون التفات إلى جنسها وقبيلها.

ولو أنَّ حاكمًا صغيرًا بين قوم مسلمين من أيّ جنس كان تبع الأوامر الإلهيّة، وثابر على رعايتها، وأخذ الدهماء بحدودها وضرب بسهمه مع المحكومين في الخضوع لها، وتجافى عن الاختصاص بمزايا الفخفخة الباطلة لأمكنه أن يحوز بسطة في الملك وعظمة في السلطان، وأن ينال الغاية من رفعة الشأن في الأقطار المعمورة بأرباب هذا الدين، ولا يتجشم في ذلك أتعابًا، ولا يحتاج إلى بذل النفقات ولا تكثير الجيوش، ولا مظاهرة الدول العظيمة ولا مداخلة أعوان التمدن وأنصار الحرية ويستغني عن كل هذا بالسير على نهج الخلفاء الراشدين، والرجوع إلى الأصول الأولى في الديانة الإسلامية القويمة ومن سيره هذا تنبعث القوّة وتجدد لوازم المنعة؛ أكرر عليك القول بأنّ السبب هو الدين الإسلامي لم تكن وجهته كوجهة سائر الأديان إلى الآخرة فقط، ولكن مع ذلك أتى بما فيه مصلحة العباد في دنياهم وما يكسبهم السعادة في الدنيا، والنعيم في الآخرة وهو المعبر عنه في الاصطلاح الشرعي بسعادة الدارين، وجاء بالمساواة في أحكامه بين الأجناس المتباينة والأمم المختلفة.

ولا شك أنَّ ماضي الأمّة يمثل جزءًا جوهريًّا للشخصية المسلمة وهويتها، ومن ثم هو ذاكرة الأمّة والتحامها بعقيدتها وهويتها، ومن ثم لا يمكن الحديث عن الحاضر مع إغفال ماضي الأمّة والله تعالى يقول: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم:٥].. وتاريخ الأمّة، من خلال ماضيها يمثل العبرة والعظة لذوي الألباب، وفي هذا الصدد يستشهد الأفغاني بقوله تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٦٢].

ثم يقول: أرأيت أمّة من الأمم لم تكن شيئًا مذكورًا، ثم انشق عنها عماء العدم فإذا هي بحمية كل واحد منها كون بديع النظام قويّ الأركان شديد البنيان عليها سياج من شدّة البأس ويحيطها سور من منعة الهمم، تخمد في ساحتها عاصفات النوازل، وتنحل بأيدي مديريها عقد المشاكل، نمت فيها أفنان العزة بعد ما ثبتت

أصولها، ورسخت جذورها، وامتد لها السلطان على البعيد عنها، والداني إليها، ونفذت منها الشوكة، وعلت لها الكلمة، وكملت القوة فاستعلت آدابها على الآداب، وسادت أخلاقها وعاداتها على ما كان من ذلك لسابقيها ومعاصريها وأحسّت مشاعر سواها من الأمم بأن لا سعادة إلاَّ في انتهاج منهجها، وورود شريعتها، وصارت وهي قليلة العدد كثيرة الساحات، كأنَّها للعالم روح مدبر وهو لها بدن عامل.

نعم رأيت كثيرًا من الأمم لم تكن ثم كانت وارتفعت ثم انحطت وقويت ثم ضعفت وعزت ثم ذلت وصحت ثم مرضت ولكن أليس لكل علة دواء. بلى.

هل من صيحة تقرع قلوب الآحاد المتفرقة من أمّة عظيمة تتباعد أنحاؤها، وتتنائى أطرافها وتتباين عاداتها وطبائعها. هل من نبأة تجمع أهوائها المتفرقة وتوحد آرائها المتخالفة بعدما تراكم جهل وران غبن وخُيِّل للعقول، أن كل قريب بعيد، وكل سهل وعر، أيم الله إنَّه لشيء عسير يعيي في علاجه النطاسي ويحار فيه الحكيم البصير.

ثم يتحدث الأفغاني عن المقلدين للثقافات والحضارات الأخرى، وأن تقليد الآخر والخضوع لمذاهبه وحضارته ينذر بعواقب وخيمة، حيث يصبح هؤلاء بمثابة الوسائل والأدوات التي يتخذها الاستعمار لاختراق المجتمع الإسلامي والقضاء على هويته، وفي هذا الصدد يرى الأفغاني أنَّه قد علمتنا التجارب ونطقت مواضي الحوادث بأنَّ المقلدين من كل أمّة المنتحلين أطوار غيرها يكونون فيها منافذ وكوى لتطرق الأعداء إليها، وتكون مداركهم مهابط الوساوس ومخازن الدسائس، بل يكونون بما أفعمت أفئدتهم من تعظيم الذين قلّدوهم، واحتقار من لم يكن على مثالهم شؤمًا على أبناء أمتهم يذلونهم ويحتقرون أمرهم، ويستهينون بجميع أعمالهم وإن جلت وإن بقي في بعض رجال الأمّة بقيّة من الشمم أو نزوع إلى معالي الهمم انصبوا عليه وأرغموا من أنفه حتى يمحي أثر الشهامة وتخمد حرارة الغيرة ويصير

أولئك المقلدون طلائع لجيوش الغالبين، وأرباب الغارات يمهدون لهم السبيل ويفتحون الأبواب ثم يثبتون أقدامهم ويمكنون سلطتهم، ذلك بأنهم لا يعلمون فضلًا لغيرهم، ولا يظنون أن قوة تغالب قواهم.

ثم يحدثنا الأفغاني عن انحطاط المسلمين وسكونهم وسبب ذلك، حيث يستشهد بالآية الكريمة ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣].

والمسلمون بحكم شريعتهم ونصوصها الصريحة مطالبون عند الله بالمحافظة على ما يدخل في ولايتهم من البلدان وكلهم مأمور بذلك لا فرق بين قريبهم وبعيدهم ولا بين المتحدين في الجنس ولا المختلفين فيه، وهو فرض عين على كل واحد إن لم يقم قوم بالحماية عن حوزتهم كان على الجميع أعظم الآثام، ومن فروضهم في سبيل الله الحماية وحفظ الولاية، بذل الأموال والأرواح وارتكاب كل صعب، واقتحام كل خطب، ولا يباح لهم المسالمة مع من يغالبهم في حال من الأحوال حتى ينالوا الولاية خاصة لهم من دون غيرهم، وبالغت الشريعة في طلب السيادة منهم على من يخالفهم إلى حد لو عجز المسلم عن التملص من سلطة غيره، لوجبت عليه الهجرة من دار حربه. وهذه قواعد مثبتة في الشريعة الإسلامية يعرفها أهل الحق، ولا يغير منها تأويلات أهل الأهواء وأعوان الشهوات في كل زمان.

وعن أهمية مبدأ الأخوة يرى المؤلف:

أنَّ للأخوة وسائر نسب القرابة صورة عند العقل ولا أثر لها في الاغتصاب والالتحام لولا ما تبعث عليه الضرورات، وتُلجئ إليه الحاجات، عن تعاون الأنسباء والعصبة على نيل المنافع، وتضافرهم على دفع المضار، وبعد كرور الأيام على المضافرة والمناصرة تأخذ النسبة من القلب مأخذًا يصرفه في آثارها بقيّة الأجل، ويكون انبساط النفس لعون القريب، وغضاضة القلب لما يصيبه من ضيم أو نكبة جاريًا مجرى الوجدانيات الطبيعية كالإحساس بالجوع والعطش والري والشبع، بل

اشتبه أمره على بعض الناظرين فعده طبيعيًا.

فلو أهملت صلة النسب بعد ثبوتها والعلم بها، ولم تدع ضرورات الحياة في وقت من الأوقات إلى ما يمكن تلك الصلة ويؤكدها، أو وجد صاحب النسب من يُظاهره في غير نسبة، أو ألجأته ضرورة إلى ذلك، ذهب أثر تلك الرابطة النسبية، ولم يبق منها إلاَّ صورة في العقل تجري مجرى المحفوظات من الروايات والمنقولات.

بعد تدبر هذه الأصول البينة فيها بعين الحكمة يظهر لك السبب في سكون المسلمين إلى ما هم فيه مع شدتهم في دينهم، والعلّة في تباطؤهم عن نصرة إخوانهم، وهم أثبت الناس في عقائدهم، فإنَّه لم يبق من جامعة بين المسلمين في الأغلب إلاَّ العقيدة الدينية مجردة عمّا يتبعها من الأعمال، وانقطع التعارف بينهم وهجر بعضهم بعضًا هجرًا غير جميل.

كانت الملة كجسم عظيم قوي البنية صحيح المزاج، فنزل به من العوارض ما أضعف الالتئام بين أجزائه، فتداعت للتناثر والانحلال، وكاد كل جزء يكون على حدة وتضمحل هيئة الجسم.

وكان من الواجب على العلماء قيامًا بحق الوراثة التي شرفوا بها على لسان الشارع أن ينهضوا لإحياء الرابطة الدينية ويتداركوا الاختلاف الذي وقع في الملك بتمكين الاتفاق الذي يدعو إليه الدين، ويجعلوا معاقد هذا الاتفاق في مساجدهم ومدارسهم حتى يكون كل مسجد وكل مدرسة مهبطًا لروح حياة الوحدة ويصير كل واحد منها كحلقة في سلسلة واحدة إذا اهتزّ أحد أطرافها اضطرب لهزته الطرف الآخر.

ويتساءل المؤلف عمّا يحدث عندما تضعف العلاقة بين أفراد الأمّة:

وكلما ضعفت قوة الربط بين أفراد الأمّة بضعف التعصب فيهم استرخت الأعصاب، ورثت الأطناب، ورقت الأوتار، وتداعى بناء الأمّة إلى الانحلال كما

يتداعى بناء البنية البدنية إلى الفناء، بعد هذا يموت الروح الكلي، وتبطل هيئة الأمّة وإن بقيت آحادها، فما هي إلاَّ كالأجزاء المتناثرة، إمَّا أن تتصل بأبدان أخرى بحكم ضرورة الكون، وإمَّا أن تبقى في قبضة الموت إلى أن ينفخ فيها روح النشأة الأخرى.

وعن موقف المسلمين من الطوائف المختلفة في المجتمع الإسلامي:

أمَّا أهل الدين الإسلامي فمنهم طوائف شطت في تعصبها في الأجيال الماضية إلا أنه لم يصل بهم الإفراط إلى حد يقصدون فيه الإبادة وإخلاء الأرض من مخالفيهم في دينهم، وما عهد ذلك في تاريخ المسلمين بعد ما تجاوزوا حدود جزيرة العرب، ولنا الدليل الأقوم على ما نقول، وهو وجود الملل المختلفة في ديارهم إلى الآن حافظة لعقائدها وعوائدها من يوم تسلطوا عليها وهم في عنفوان القوّة، وهي في وهن الضعف، نعم كان للمسلمين ولع بتوسيع الممالك وامتداد الفتوحات وكانت لهم شدة على من يعارضهم في سلطانهم، إلاَّ إنّهم كانوا مع ذلك يحفظون حرمة الأديان، ويرعون حقّ الذمة، ويعرفون لمن خضع لهم من الملل المختلفة حقّه، ويدفعون عنه غائلة العدوان.

ويوجه نصائحه للأمّة المتخاذلة:

فيا أيتها الأمّة المرحومة هذه حياتكم فاحفظوها، ودماؤكم فلا تريقوها، وأرواحكم فلا تزهقوها، وسعادتكم فلا تبيعوها بثمن دون الموت. هذه هي روابطكم الدينية، لا تغرنكم الوساوس ولا تستهوينكم الترهات، ولا تدهشكم زخارف الباطل، ارفعوا غطاء الوهم عن باصرة الفهم، واعتصموا بحبال الرابطة الدينية التي هي أحكم رابطة اجتمع فيها العربي بالتركي، والفارسي بالهندي، والمصري بالمغربي، وقامت لهم مقام الرابطة النسبية حتّى إنَّ الرجل منهم ليألم لما يصيب أخاه من عاديات الدهر وإن تنآت دياره، وتقاصت أقطاره.

عليك أن تنظر في حقائق الصفات الفاضلة لتحكم بما ينشأ عنها من الأثر الذي

بيّناه: التعقل والتروي وانطلاق الفكر من قيود الأوهام والعفة والسخاء والقناعة والدماثة «لين الجانب» والوقار والتواضع وعظم الهمة والصبر والحلم والشجاعة والإيثار «تقديم الغير بالمنفعة على النفس» والنجدة والسماحة والصدق والوفاء والأمانة وسلامة الصدر من الحقد والحسد والعفو والرفق والمروءة والحمية وحب العدالة والشفقة.

ألا ترى لو عمَّت هذه الصفات الجليلة أمّة من الأمم أو غلبت في أفرادها فلا يكون بينها سوى الاتحاد والالتئام التام؟ هل يوجد مثار للخلاف والتنافر بين عاقلين حرّين صادقين وفيين كريمين شجاعين رفيقين صابرين حليمين متواضعين وقورين عفيفين رحيمين. أما والله لو نفخت نسمة من أرواح هذه الفضائل على أرض قوم وكانت مواتًا لأحيتها، أو قفر لأنبتتها أو جدبًا لأمطرتها من غيث الرحمة ما يسبغ نعمة الله عليها، ولأقامت لها من الوحدة سياجًا لا يُخرق، وحرزًا منيعًا لا يُهتك.

ولكن ما الذي يحدث عندما يقصر أهل العلم في أداء واجباتهم تجاه الأمّة؟

إذا أهمل خَدَمة الدين وظائفهم أو تهاونوا في تأدية أعمالها ضعف اليقين في النفوس، وذهلت العقول عن مقتضيات العقائد الدينية، وأظلمت البصائر بالغفلة وتحكمت الشهوات البهيمية، وتسلطت الحاجات المعاشية، ومال ميزان الاختيار مع الهوى، فحشدت إلى الأنفس أوفاد الرذائل، فيحق على النّاس كلمة العذاب، ويحل بهم من الشقاء ما أشرنا إليه سابقًا.

ولا ريب أنَّ الراسخين في العلم من أهل الدين الإسلامي يعلمون أن ما أصيب به المسلمون في هذه الأزمان الأخيرة، إنَّما هو ممّا امتحنهم الله به جزاء على بعض ما فرطوا، وليس للنّاس على الله حجة فالرجاء في همهم وغيرتهم الدينية وحميتهم الملية أن يوجهوا العناية إلى رتق الفتق قبل اتساعه، ومداواة العلة قبل استحكامها، فيذكروا أبناء الملة بأحكام الله، ويحكموا بينهم روابط الأخوة والألفة

كما أمر الله في كتابه وعلى لسان نبيه.

وعن الوحدة الإسلامية وأهميتها لحفظ كيان الأمّة والتعبير عن كيانها وقوتها ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

حث القرآن على الفضائل وعقائل الصفات، فأودع في أفكارهم جراثيم الحق وبذر في نفوسهم بذور الفضل، فهم بأصول دينهم أنور عقلًا وأنبه ذهنًا وأشد استعدادًا لنيل الكمالات الإنسانية، وأقرب إلى الاستقامة في الأخلاق، وربما يرون لأنفسهم من الاختصاص بالشرف، وما وعدوا به على لسان كتابهم الصادق من إظهار شأنهم على شئون العالم أجمع ولو كره المبطلون، لا يرغبون بسلطة لغيرهم عليهم، ولا يحوم بفكر واحد منهم أن يخضع لذي سطوة من سواهم، وإن بلغت من الشدة أو اللين ما بلغت. لما بينهم من الإخاء المؤزر بمناطق العقائد، يحسب كل واحد منهم أنَّ سقوط طائفة من بني ملته تحت سلطة الأجانب سقوط لنفسه. ذلك إحساس يشعر به وجدانه ولا يجد عنه مسليًا، وبما ساخ (غاص ورسب) في نفوسهم من جذور المعارف التي أرشدهم إليها دينهم، ونالوا منها النصيب الأعلى في عنفوان دولتهم، يعدون أنفسهم أولى الناس بالعلم وأجدرهم بالفضل.

ذلك شأنهم الأول وهذا وصفهم الآن، ولكنّهم مع هذا كله وقفوا في سيرهم بل تأخروا عن غيرهم في المعارف والصنائع بعد أن كانوا فيها أساتذة العالم، وأخذت ممالكهم تنقص أطرافها وتتمزق حواشيها.

ثم يحدثنا عن الشرور الناتجة عن التهالك على المتاع الدنيوي:

ألا قاتل الله الحرص على الدنيا والتهالك على الخبائث، ما أشد ضررهما وما أسوأ أثرهما، نبذوا كلام الله خلف ظهورهم وجحدوا فرضًا من أعظم فروضه، فاختلفوا والعدو على أبوابهم. وكان من الواجب عليهم أن يتحدوا في الكلمة

الجامعة، حتى يدفعوا غارة الأباعد عنهم، ثم لهم أن يعودوا لشئونهم، ماذا أفادتهم المغالاة في الطمع والمنافسة في السفاسف؟ أفادتهم حسرة دائمة في الحياة، وشقاء أبديًا بعد الممات، وسوء ذكرلن تمحوه الأيام.

الاتفاق والتضافر على تعزيز الولاية الإسلامية، من أشد أركان الديانة المحمدية، والاعتقاد به من أوليات العقائد عند المسلمين، لا يحتاجون فيه إلى أستاذ يعلم، ولا كتاب يثبت، ولا رسائل تنشر. إنَّ رعاة المسلمين فضلًا عمن علاهم تتصاعد زفراتهم، وتفيض أعينهم من الدمع حزنًا وبكاء على ما أصاب ملتهم من تفرق الآراء، وتضارب الأهواء، ولولا وجود الغواة من الأمراء، ذوي المطامع في السلطة بينهم، لاجتمع شرقيهم بغربيهم، وشماليهم بجنوبيهم، ولبّى جميعهم نداء واحدًا، إنَّ المسلمين لا يحتاجون في صيانة حقوقهم، إلاَّ إلى تنبيه أفكارهم لمعرفة ما به يكون الدفاع، واتفاق آرائهم على القيام به عند لزومه وارتباط قلوبهم الناشيء عن إحساس بما يطرأ على الملة من الأخطار.

ثم يرى أنّه لا سيادة للأمة إلاّ من خلال وحدتها:

«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا» ..

أمران خطيران تحمل عليهما الضرورة تارة، ويهدي إليهما الدين تارة أخرى، وقد تفيدهما التربية وممارسة الآداب، وكل منهما يطلب الآخر ويستصحبه بل يستلزمه، وبهما نمو الأمم وعظمها ورفعتها واعتلاؤها، وهما الميل إلى وحدة تجتمع، والكلف بسيادة لا توضع. وإذا أراد الله بشعب أن يوجد ويلقى بوانيه (يثبت ويقيم) إلى أجل مسمى أودع أصوله هذين الوصفين الجليلين، فأنشأ خلقًا سويًا، ثم استبقى له حياته بقدر ما مكن فيه من الصفتين إلى منتهى أجله.

إنَّ المخلصين في إيمانهم الواثقين بوعد الله في نصر من ينصر الله، الثابت في قوله: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد:٧] لا يتخلفون عن بذل أموالهم

وبيع أرواحهم والحق داع والله حاكم، والضرورة قاضية فأين المفر. المبصر بنور الله يعلم أنَّه لا سبيل لنصر الله وتعزيز دينه إلاَّ بالوفاق وتعاون المخلصين من المؤمنين. هل يسوغ لنا أن نرى أعلامنا منكسة، وأملاكنا ممزقة، والقرعة تضرب بين الغرباء على ما بقي في أيدينا ثم لا نبدي حركة، ولا نجتمع على كلمة، وندعي مع هذا أننا مؤمنون بالله وبما جاء به محمد. واخجلتاه لو خطر هذا ببالنا ولا أظنّه يخطر ببال مسلم يجري على لسانه شاهد الإسلام.

ويحاول المؤلف بعث الأمل في نفوس المسلمين بعد أن اعتراها الوهن والقنوط، فيقول: إنَّ المسلمين لا يسمح لهم يقينهم بالله وبما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام أن يقنطوا من رحمة ربهم في إعادة مجدهم مع كثرة عددهم، ولا يسوغ لهم إيمانهم أن يرضخوا للذل، ويرضوا للضيم، ويتقاعدوا عن إعلاء كلمتهم وهم إلى الآن محفوظون ممّا ابتلى به كثير من الأمم، فإنَّ لهم ملوكًا عظامًا، ولا يزال في أيديهم ملك عظيم على بسيط الأرض، وأنّ من الحق أن نقول: أنَّ أبواب رحمة الله مفتحة لديهم وما عليهم سوى أن يلجوها، وأن روح الله نافحة عليهم وما يلزمهم سوى أن يستنشقوها والفرص دائمًا تمد أيديها إليهم تطلب إنهاضهم وتنبه غافلهم وتوقظ نائمهم، وليس عليهم في استرجاع مكانتهم الأولى والصعود إلى مقامهم الأول إلاَّ أن يجمعوا كلمتهم ويتعاونوا على ما يقصدون من إعزاز ملتهم، وذلك أيسر ما يكون عليهم، بعد تمكن الجامعة الدينية بينهم، فأي موجب لليأس وأي داع للقنوط وبين أيديهم كتاب الله الناطق بأن اليأس من أوصاف الضالين، وهل توجد واسطة بين الرشد والغي (فماذا بعد الحق إلاّ الضلال) هل يكون للقانطين فيهم من عذر؟ أيرضون بالعبودية للأجانب بعد تلك السيادة العليا، ماذا يبتغون من الحياة إن كانت في ذل وإهانة وفقر وفاقة وشقاء دائم بيد عدو غاشم؟.

وعن سلطة الأمّة وسلطة الحاكم المستبد يرى الكتاب، أنَّ الحاكم إذا كان

جاهلًا سيء الطبع، سافل الهمة، شرهًا جبانًا ضعيف الرأي، أحمق الجنان، خسيس النفس، معوج الطبيعة، أسقط الأمّة بتصرفه إلى مهاوي الخسران، وجلب عليها غائلة الفاقة والفقر، وجار في سلطته عن جادة العدل، وفتح أبوابًا للعدوان، فيتغلب القوي على حقوق الضعيف، ويختل النظام، وتفسد الأخلاق وتخفض الكلمة، ويغلب اليأس، فتمتد إليها أنظار الطامعين وتضرب الدول الفاتحة بمخالبها في أحشاء الأمّة.

ونختم المقالات التي اخترناها - على سبيل المثال لا الحصر - من جريدة «العروة الوثقى» بمقال عن «أسباب حفظ الملك» كنداء للمسلمين أن ينطلقوا إلى المستقبل ولن يحدث ذلك إلاَّ عن طريق الحفاظ على كيان الأمّة وخططها في سبيل التواصل ككيان له ذاتيته وخصوصيته الثقافية.

«أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها، فإنَّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور» .

أهلك الله شعوبًا وأباد قبائل، ودمر بلادًا، ولا يزال عدل الله يُبدِّل قومًا بقوم ويأتي لكل حين بأناس آخرين، حكيم سبقت رحمته غضبه، جعل لكل عمل جزاء، وعين بحكمته لكل حادث سببًا ﴿ ﴾ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) وليست أفعاله جزافًا، ولا يصدر عنه شيء عبثًا، أمر الله عباده السير في الأرض (فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) ليريهم قضاءه الحق وحكمه العدل، فيمن سلف ومن خلف، فيطيعوا أوامره، ويقفوا عند حدود شرائعه، ويفوزوا بخير الدنيا وسعادة الآخرة.

من كان له قلب يعقل وعين تبصر، وعقل يفقه، وتتبع حوادث العالم وتدبر كيفية انقلاب الأمم، وخاض في تواريخ الأجيال الماضية، واعتبر بما قص الله علينا في كتابه المنزل، يحكم حكمًا لا يخالطه ريب، بأنَّه ما حاق السوء بأمّة وما نزلت بها نازلة البلاء، وما مسها الضر في شيء إلاّ وكانت هي الظالمة لنفسها، بما تجاوزت حدود الله،

وانتهكت حرماته، ونبذت أوامره العادلة، وانحرفت عن شرائعه الحقة، وحرفت الكلم عن مواضعه، وأولت من كلامه تعالى على حب الأهواء والشهوات.

فمن سار في الأرض، وتتبع تواريخ الأمم، وكان بصير القلب، علم أنَّه ما ينهدم بناء ملك، ولا انقلب عرش مجد، إلاَّ لشقاق واختلاف، أو ثقة بمن لا يوثق به، وتخلل العنصر الأجنبي، أو استبداد في الرأي، واستنكاف عن المشورة، وإهمال في إعداد القوة، والدفاع عن الحوزة، أو تفويض الأعمال لمن لا يحسن أداءها، ووضع الأشياء في غير مواضعها، فيكون جور في الحكم، واختلال في النظم، وفي كل ذلك حيد عن سنن الله، فيحصل غضبه بالخاطئين، وهو أحكم الحاكمين.

ويطلق الأفغاني ومحمد عبده صيحتهما الواجبة للأمة، مذكرين بوعد الله للذين آمنوا وجاهدوا في سبيله:

على العلماء أن يزيلوا اللبس بتذكير وعد الله ووعده الحق في قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا) هذه وظيفة العلماء الراسخين وما هم بقليل بين المسلمين، ولا نظنهم يتهاونون فيما فوض الله إليهم، ووكل إلى ذمتهم، وهم أمناء الدين وحملة الشرع، ورافعو لواء الإسلام، وأوصياء الله على المؤمنين، أعانهم الله على خير أعمالهم، ونفع بهم المؤمنين بإرشادهم.

ويذكران الأمّة بالسنن الكونية والتاريخية التي يجب على كل مسلم أن يأخذ بها ويتنبه إليها من أجل معرفة مواطئ أقدامها تجاه ما يعتريها ويواجهها من تحديات:

جعل الله بقاء الأمم ونمائها في التحلي بالفضائل التي أشرنا إليها، وجعل هلاكها ودمارها في التخلي عنها، سنة ثابتة لا تختلف باختلاف الأمم، ولا تتبدل بتبدل الأجيال، كسنته تعالى في الخلق والإيجاد، وتقدير الأرزاق وتحديد الآجال، علينا أن نرجع إلى قلوبنا، ونمتحن مداركنا، نسبر أخلاقنا، ونلاحظ مسالك سيرنا،

لنعلم هل نحن على سيرة الذين سبقونا بالإيمان، هل نحن نقتفي أثر السلف الصالح، هل غيَّر الله ما بنا قبل أن نغير ما بأنفسنا، وخالف فينا حكمه، وبدل في أمرنا سنته، حاشاه وتعالى عمّا يصفون، بل صدقنا الله وعده، حتّى إذا فشلنا وتنازعنا في الأمر وعصيناه من بعد ما أرى أسلافنا ما يحبون، وأعجبتنا كثرتنا فلم تغن عنّا شيئًا، فبدل عزّنا بالذل، وسُمُوِّنا بالانحطاط، وغنائنا بالفقر، وسيادتنا بالعبودية، نبذنا أوامر الله ظهريًا، وتخاذلنا عن نصره، فجازانا بسوء أعمالنا، ولم يبق لنا سبيل إلى النجاة سوى التوبة والإنابة إليه، كيف لا نلوم أنفسنا ونحن نرى الأجانب عنا يغتصبون ديارنا، ويستذلونا أهلها، ويسفكون دماء الأبرياء من إخواننا، ولا نرى في أحد منا حراكًا.

وأخيرًا نرى أنَّ «العروة الوثقى» تمثل إضافة حقيقية لجهود العقل المسلم في الفكر الإسلامي الحديث، في وقت تكالب فيه الاستعمار الغربي على بلاد العرب والمسلمين، وسعى إلى إزاحة كل ما يمسُّ الإسلام إلى خارج الكيانات السياسية والحضارية، وذلك لأنَّهم يعرفون قدر هذا الدين وما يمكن أن يقوم به في تغيير خارطة الكيانات الحديثة، ولذلك راحوا ينسجون المؤامرات والدسائس في سبيل تحقيق ذلك، وعاونهم في ذلك مجموعة من المثقفين والمفكرين الذين تخلوا عن ذاتيتهم الحضارية، مع الترويج للنموذج الغربي الاستعماري، الذي أعده البعض أكبر سُبّة في جبين الإنسانية.

جاء الأفغاني ومحمد عبده ليشعلا فتيل الثورة والتغيير في العالم الإسلامي، رغم كافة التحديات والمؤامرات، ورغم حالة التردي التي تحياها الأمّة المسلمة، بعد ركام هائل من عفن القرون الخوالي.

وكانت العروة الوثقى بمثابة شعاع يضيء للأمّة طريق ثورتها نحو استعادة الكيان المفقود والعودة بالمسلمين إلى مقاومة كل دعاوى الاستعمار والهيمنة

والقضاء على هويتنا الإسلامية.

إذًا فنحن أمام وثيقة دامغة، تشهد باستمرارية عطاء الفكر الإسلامي رغم كافة التحديات، وأنَّ الأمة ماضية في طريقها نحو الشهود الحضاري الذي نسعى إليه جميعًا.

*****

obeikan.com